تأويل القرآن

يظن كثير من المشتغلين بالدراسات القرآنية قديماً وحديثاً أن بإمكانهم الذهاب بمعنى الآيات الكريمة بعيدا عن الحدود المكانية والزمانية التي حُدَّدت بموجبها أسبابُ النزول الذي قيَّدته دون إطلاق يمتد في الزمان ومن دون قيدٍ أو شرط ؛ وهذا هو ظن في غير محله ؛ إذ أن الكثير من آيات القرآن الكريم معناها مقيَّد بقيد محدد ، كما في قوله تعالى : (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(١٠٥))[1].

فكثيرٌ منا يورد هذه الآية الكريمة في سياق الإشادة والتمجيد بعمله أو بعمل من يريد أن يكيل له من الثناء والمديح ما يظن أنه يستحقهما .

وهذا أبعد ما يكون عن المعنى الذي تنطوي عليهِ هذه الآية الكريمة ؛ التي إن نحن وقعنا على هوية المخاطب فيها لتبيَّن لنا أن معناها لا ينبغي إطلاقا أن يتم الاستشهاد به في سياق الإشادة والتمجيد ، فالمخاطب هنا هم منافقو المدينة من معاصري الرسول الله صلى الله عليه وسلم فحسب ، وإذا ما علمنا ذلك ؛ فلا يصح لنا الاستدلال بها في خُطبنا ومدائحنا لبعض الإنجازات التي نتحدث عنها حتى لا يخرج بنا التعميم عن المعنى الحقيقي المقصود الذي ذهبت إليه الآية الكريمة .

هذه لفتة أتمنى أن يأخذ بها المسلمون أينما كانوا .

---

(١) سورة التوبة